

التأثيل والترجمة في خدمة اللغة العربية

للأستاذ الفقيه العلامة محمد بلقزيز

مقدمة : أهتم في هذا المبحث بالتأثيل وبالترجمة باعتبارهما من الأدوات ذات الفعل القوي لتحقيق فهم جيد للحصيلة اللغوية الأصيلة التي ملكناها من آباؤنا كما أهتم بقضية تطوير اللغة العربية كي تكون قادرة على مجاراة اللغات الغربية ومنافستها. عن طريق المقابلة بين الثقافات وبين الثقافة الغربية والعربية بالخصوص وبواسطة الترجمة والترجمان يمكننا المقابلة بين ما لدينا من حصيلة لغوية وبين ما نحن بحاجة إليه من مصطلحات لدراسة موضوعات العلم والتقانة دراسة وافية ومفيدة. بالتأثيل يصبح المصطلح العربي الأصيل والمصطلح الموضوع حديثا مدرك الدلالة بزائد وضوح. بالتأثيل تعرف تركيبته الصوتية تبعا لمعرفة المفردة التي رجع إليها من عمل على توليده وإنشائه. اللغة العربية هي لغة راقية وقد صنعها عباقرة لا يوازنون حذقا وحكمة. بالتأثيل تملك اللغة العربية الأصيلة زائد رقي لم تعرفه مدة طويلة من حياتها وبه تكتسب - من جديد- قدرات هائلة قد تمكنها من العودة إلى الواجهة كما كانت من قبل. في هذا المبحث رأيت أن أعرض عليك موضوعين لغويين أحدهما في الغرة السائلة والثاني في فقد الصبغ والخضب ومن خلالهما أريد بيان دور الترجمة والتأثيل في خدمة اللغة العربية وإليك هذين الموضوعين.

الغرة السائلة

اللغة والتأثيل لمفردات أصيلة- السائلة من الغرر المعتدلة في قسبة الأنف وقيل هي التي سالت على الأرنبه حتى رثمتها وقيل السائلة الغرة التي عرضت في الجبهة وقسبة الأنف وقد سالت الغرة إن استطالت وعرضت (اللسان) السائلة هي الغرة الممتدة سفلا على الخطم والأنف. المفردة متضمنة معنى ممتد) proluxus -long - allongé (الشمراخ من الغرر ما استدق وطال وسال مقبلا حتى جلل الخيشوم ولم يبلغ الجحفلة والفرس شمراخ. وقال الليث - الشمراخ من الغرر ما سال على الأنف (اللسان) مفردة شمراخ ههنا متضمنة معنى البداية) principium-commencement (العصفور الشمراخ السائل من غرة الفرس لا يبلغ الخطم (اللسان) إن سالت غرة الفرس ودقت فلم تجاوز العينين فهي العصفور (المخصص/ج/6/ص/154) مفردة عصفور ههنا متضمنة معنى البداية) principium-commencement (أو معنى التقطع) interruptio-interruption (اليعسوب غرة في وجه الفرس مستطيلة تنقطع قبل أن تساوي أعلى المنخرين وإن ارتفعت أيضا على قسبة الأنف وعرضت واعتدلت حتى تبلغ أسفل الخليقاء فهي يعسوب أيضا قل أو كثر ما لم تبلغ العينين. الأزهرى - يعسوب عند أبي حنيفة خط من بياض الغرة ينحدر حتى يمس خطم الدابة ثم ينقطع (اللسان) مفردة يعسوب ههنا متضمنة معنى الامتداد طولاً وعرضاً) expandere (غرة متسرمة غلظت من موضع ودقت من آخر (اللسان) هي غرة غير

سوية. مفردة متسرمة متضمنة معنى عدم الانتظام (enormis – irrégulier) غرة متمصرة ضاقت من موضع واتسعت من آخر (اللسان) مفردة متمصرة هنا متضمنة معنى فقد الانتظام (enormis – irrégulier)

اللغة والتأثيل لمفردات مضافة – أأخذ مفردة مهوص للتعبير عن عدم الاتصال وأقول ماهص لما هو غير متصل. المفردات ههنا متضمنة معنى غير متصل (intermissus-interrompu) أأخذ مفردة وامص للتعبير عن فاقد الانتظام ووموص للتعبير عن فقد الانتظام. المفردات ههنا متضمنة معنى غير منتظم (enormis – irrégulier)

السائلة – هي الخيط النازل من الغرة على قصبة أنف الفرس والسائلة هي دائما متصلة بغرة ولذلك يقال في السائلة غرة سائلة أو غرة شادخة. هذه السائلة قد تكون دقيقة حتى إنها ليست بسائلة ولكن بداءة سائلة فتدعى شمراخا وللغرة من شيات الفرس بداءة غرة هي القرحة لدى الفرس الأقرح كما أن للتحويل من شيات الفرس بداءة تدعى خاتما أو تخديما. الشمراخ إذن ههنا هو بداءة سائلة ولا ينبغي أن يتوهم أن الشمراخ من السوائل هو مثل شمراخ الكباسة دقة وهي مفردة تتضمن معنى التجمع (conglomeratus) لأن شمراخ الكباسة هو مجمع تمرات أو بلح. مفردة شمراخ بمعنى السائلة تتضمن البداءة وتنتمي إلى أسرة غير أسرة الشمراخ بمعنى شعبة الكباسة. هذا الشمراخ قد يرى متقطعا فيدعى عصفورا وليس العصفور من

السوائل شبيها بعصفور من الطير ومن يفهم ذلك يخطئ خطأ فاحشا. مفردة عصفور - بمعنى الطير متضمنة معنى التصويت (vociférare-crier) وعليه فبياض العصفور هو أقل من بياض الشمراخ. حينما تمتد السائلة وتعرض وتعتدل فهذه هي اليعسوب ولا علاقة لليعسوب من السوائل باليعسوب بمعنى فحل النحل وهي مفردة تتضمن معنى التلقيح لأنه فحل النحل وذكرها وهو الذي يلحقها (fécondant - genitabilis). هذا اليعسوب من السوائل هو الذي قد يعرض كثيرا حتى يجلل الوجه فتصبح الغرة غاشية.

وموص أو مهوص السائلة - من السوائل وامصة وهي فاقدة الانتظام بمعنى أنها على طول مرسن الفرس تكون في جهة عريضة وفي أخرى ضيقة فهي غير سوية أما السائلة الماهصة فهي التي لا تتصل وهي ممتدة على المرسن. هذه السائلة توصف لدى القدماء بأنها متمصرة لكني قد ابتعدت عن اشتقاق مفردات من مادة- مصر- وهي بدلالات كثيرة. منها التمصير - بمعنى التبقيع في الصبغ- والتمصير بمعنى الصبغ بمصر وهو المغرة. عدم الاتصال قد يعبر عنه بالانقطاع إلا أن الانقطاع هو حال ما ينقطع وكذلك حال ما لا يتصل. مفردة مهوص لن تفيد إلا عدم الاتصال. أيا ما كان قد يفيد الترادف في بعض الأحوال.

السائلة وأحوالها

Liste	سائلة (ج) سوائل - غرة سائلة (م/أ)
Belle face	سائلة غاشية - غرة غاشية (م/أ)
Principe de liste irrégulière	سائلة متمصرة/سائلة متسرمة (م/أ) سائلة وامصة (م/م)
Liste fine - Principe de liste	شمراخ (ج) شماريخ (م/أ)
Liste (Principe de liste courte)	عصفور (ج) عصافير (م/أ)
Irrégulier	متمصر - متسرّم (م/أ) وامص (م/م)
Discontinu	ماهص (م/م)
Discontinuité	مهوص (م/م)
Irrégularité	وموص (م/أ) تمصر (م/مش)
Liste demi face	يعسوب (ج) يعاسيب (م/أ)

فقد الصبغ وبالتبعية فقد اللون

اللغة والتأثيل لمفردات أصيلة - المصّر من الثياب ما كان مصبوغا فغسل التمسير في الصبغ أن يخرج المصبوغ مبقعا لم يحكم صبغه (اللسان) المفردات ههنا متضمنة معنى فقد الصبغ (achromos - sans couleur) غرة ممصرة ضاقت من موضع واتسعت من آخر وجاءت الإبل إلى الحوض ممصرة

وتمصرة أي متفرقة (اللسان) المفردات متضمنة معنى فقد الاتصال
 (intermissus discontinu) أو فقد الانتظام (enormis- irrégulier) نصل الشعر
 زال عنه الخضاب (اللسان) المفردة متضمنة معنى النزع (deconciliare-
 enlever) صبغ الثوب صبغا مشبعا أي تحقيقا. مفردة تحقيق متضمنة معنى
 التسوية (aequivalens-égal) سلئت المرأة الخضاب عن يدها مسحته وألقته
 (اللسان) المفردات ههنا متضمنة معنى النزع (deconciliare-enlever) أو معنى
 نزع الصبغ (decolorare-décolorer)

مرة سلئت لا تتعهد يدها بالخضاب وقيل هي التي لا تختضب البتة
 (اللسان) المفردة ههنا معناها عاطل أو عطل- بضميتين- أي بدون زينة.
 مفردة عاطل وسلئت ههنا تقابل بمفردة واحدة معناها بدون زينة (incultus-
 inculte- non paré)

اللغة والتأثيل لمفردة مشتقة -من السلئت بمعنى نزع الخضاب أتخذ
 مفردة سلات للتعبير عن الصبص المتخذ لنزع صبغ وخضاب كما أقول
 انسلات لحال الصبغ والخضاب ينقلع بذاته. انظر الأثل أعلاه.

اللغة والتأثيل لمفردات مضافة - أتخذ مفردة ونص للتعبير عن فقد
 الخضب واللون المصاحب له وما يفقد اللون أقول فيه إنه ونيص. المفردتان
 متضمنتان معنى فقد اللون (incolor- incolore) أو معنى العدم (absentia-
 absence) كما أقول ونص للتعبير عن فقد طبيعي لرائحة وأقول ونيص لما
 يفقد رائحة (absentia- absence) أتخذ مفردة زهلق لوصف ما يفقد خضبا بعد

أن كان له وأقول ازهلاق للتعبير عن انتزاع الخضب. المفردات ههنا متضمنة
معنى القلع (deconciliare-détacher)

فقد اللون - تجري الصباغة بكيفية سوية ويقال فيها إنها تجري تحقيقا أي بصفة سوية فإن لم تجر تحقيقا تبين فيها تمصير أي تباقيع في الجهات التي لا يمسها صبغ. الازهلاق هو فقد اللون في العضو كله أو في بقعة منه وهي حالة تصيب بالخصوص أعضاء البدن حين لا يتبين فيها خضبها المعتاد. ما يتبين فيه ازهلاق أقول فيه زهلق. أعبر عن فقد اللون طبيعيا تبعا لفقد الخضب بالونص وما يفقد اللون هو الونيص. يحتاج إلى وصف عدة أجسام بأنها فاقدة اللون فلا نملك إلا أن نعبر في العربية بتركيب لا بمفردة وكذا الشأن بالنسبة لفقد الرائحة. أقول إذن ونض وأقصد فقد جسم بصفة طبيعية لكل رائحة أي أنه بدون رائحة فهو لذلك ونيض. بالتبعية أقول عن غاز مثلا هو ونيص وونيض أي فاقد اللون ورائحة.

سلت اللون - بعد إجراء طلاء بصيغ قد يحتاج إلى نزع صبغ وهذا هو السلست ويحقق بسلات فينسلست اللون انسلاتا. تتضمن المرأة أحيانا بعدة أصباغ في المساء وتحتاج إلى نزعها ليلا حينما تذهب إلى فراشها فتتخذ لذلك سلاتا أو عدة أسلطة لجلاء أصباغها. ورد في النصوص أعلاه أن المرأة السلستاء هي التي لا تتعهد نفسها بخضاب ولا تختضب وهي مفردة ليس لها ارتباط

بالأسرة اللغوية المتضمنة معنى نزع الصبغ أو فقد الصبغ ولكن بأسرة لغوية من المادة متضمنة معنى العطالة أي فقد الزينة. ما هو أسلت إذن هو ما يفقد زينة والسلتاء من النساء هي العاطل أو العطل ولك أن تقول جيد عاطل أو جيد أسلت إن لم يزنه عقد من جواهر أو خرز.

اللون غير المتواصل - في النصوص أعلاه ورد الحديث عن غرة متمصرة وهي المتقطعة وغير المتواصلة. والمقصود ههنا سائلة الغرة أي ما يسيل منها على أنف الفرس وهذه هي التي يصيبها تقطيع فلا تتواصل. التمرصر إذن هو عدم الاتصال لكن مادة - مصر- هي كثيرة الاشتراك فقلت ماهص لما هو غير متصل ومهوص - مصدر- للتعبير عن الانقطاع وعدم الاتصال. وقريب من عدم الاتصال عدم الانتظام وعنه أعبر بالوموص وما يفقد نظاما في تردده وتواتره أقول عنه إنه وامص.

فقد اللون

Inculte (non paré)	
Décoloration (état)	انسلات الصبغ (ت/ح) نصول اللون (م/أ)
Flambure	تمصير(ج) تماصير (م/أ)
Décolorant (s.m)	سلات (ج)أسلقة (م/أ)
Décoloration (action)	سلت الصبغ (م/أ)
Peinture égale	صبغة موضوعة تحقيقا (ت/ح)
Discontinuu	ماهص (م/م) (مش/م)

Discontinuité	مهوص (م/مش) تمصر (أ/م)
Déteint (adj.) Décoloré	منسلت - وصف لحامل صيغ (م/مش)
Passé (couleur)	منسلت - وصف للون - (م/مش)
Déteint - décoloré	ناصل (أ/م)
Décharge d'une couleur	نصول اللون (أ/م)
Irrégulier	وامص (م/م)
Irrégularité	وموص (م/م)
Incolore	ونيص (م/م)
Inodore	ونيض (م/م)

* * *

اللغة الأصيلة في لسان العرب ومميزاتها - اللغة الأصيلة هي مدونة في المراجع الأصيلة وخير هذه المراجع هو لسان العرب لابن منظور. وهذه بعض ملاحظات على المحتوى اللغوي في لسان العرب.

البيانات اللغوية في لسان العرب هي كثيرة قد تعتبر متنوعة ومفيدة معنى واحدا وقد تكون مضطربة وحينئذ قد لا يعرف من يرجع إلى الكتاب ما يأخذ منها وما يذر. ابن منظور لا يتدخل أبدا في الموضوع لبيان ما ينبغي قبوله أو رفضه من الشروح المسوقة. ما كان غرض ابن منظور - في المقام الأول - سوى جمع اللغة الأصيلة وحفظها من الضياع وهو القائل في مقدمة كتابه (لسان العرب) (ليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها ولا وسيلة أتمسك بها سوى

أنى جمعت فيه ما تفرق فى تلك الكتب من العلوم) يعنى ههنا تهذيب اللغة للأزهرى والمحكم لابن سيدة.

المحتوى اللغوى فى لسان العرب وفى غيره من المعاجم العربية هو متكدر وغير مصنف إلى الأسر اللغوية التى تحتوى عليها المادة اللغوية الواحدة. هذا الوضع للمعاجم العربية الأصيلة وحتى الحديثة مانع من إدراك اللغة العربية إدراكا صحيحا ومفيدا. لقد أبانت طريقتى - كما هى معروضة فى عدة كتبى - ضرورة هذا التصنيف اللغوى. وعليه فما يرجع من لغة ابن منظور إلى الصناعة والتقانة يبقى غير قابل لإدراك إلا أن يعالج بوسائل فعالة لأن اللغة العربية فى هذا الباب أصبحت غير متداولة حتى فى زمانه والمفروض أن تزيد غموضا وخفاء بعد عدة قرون من زمان ابن منظور.

أذكر هنا أن المعجميين القدماء وابن منظور منهم لم ينبهوا أبدا إلى ضرب من التشابه بين اللغة العربية واللغة اللاتينية ومن هنا إلى تقارب بين اللغة العربية ولغات الغربيين. لقد أنجزت دراسات لغوية كثيرة تشهد بهذا التقارب. هذا التقارب أصبح اليوم حقيقة جلية ومع ذلك لم يظهر له أثر فى الدراسات اللغوية المعاصرة ولا كان لأحد حظ الانتفاع به فى فهم اللغة الأصيلة وفى تطوير اللغة العربية. إن اتخذنا أبعد الفروض فأثبتنا بعض تأثير للغة اللاتينية فى اللغة العربية فإن هذا التأثير يبقى فى حدود ضيقة وفى الحدود التى تجعل لغة الإسلام متمكنة من وضع وسط بين اللغات السامية واللغات المدعوة هندية أوربية. هذا الوضع هو الذى يناسب دينا يعتبر وسطا

بتعاليمه وشعائره ووسطا بالحقبة التي ظهر فيها خاتم النبيئين والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله القائم بحق الله بالدين الجديد - دين الإسلام - بين عهود ضمت عدة أنبياء ورسلا كانوا يتلقون الوحي وبين أزمنة أخرى لم يعد بشر يتلقى فيها وحي. ديننا الحنيف قد كرمنا نحن المسلمين بخلافة سيدنا محمد في نشر دينه والدعوة إليه ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) وللتذكير أقول ههنا إن وسطيتنا هي ليست بالدين فحسب ولكن بالدين وباللغة.

ضرورة فهم اللغة الأصلية - إن قسطا عظيما من اللغة هو واضح الدلالة
وقد بقي حيا ومتداولاً في المجتمعات العربية. هذا القسط من اللغة يرتبط بالحياة الروحية والأدبية والفلسفية والقضائية وبضرورات الحياة الاجتماعية. هذا القسط من اللغة بقي متداولاً ومدركا إدراكا جيدا. تضم المعاجم العربية الأصلية قسطا آخر من اللغة لا يقل أهمية عن القسط السابق وربما يكون أعظم منه حجما وهذا يرتبط بالصناعة وبمختلف شعب المعرفة. هذا القسط الثاني من اللغة هو الذي اعتراه تعطيل منذ عصر ابن منظور وربما قبله بكثير حتى أصبح نسيا منسيا وإن كان له ذكر أيا كان لم يكن له حياة. قد اعترف لنا ابن منظور في مقدمة كتابه العظيم بأن اللغة العربية لم تعد في زمانه متداولة وأن اللغات الأخرى كان لها رواج أعظم. لم يعطنا ابن منظور كيف تجلى هذا الطغيان للغات الأجنبية في زمانه ولا هو عرفنا بمختلف ظواهره وعوامله. حينما كان ابن منظور بصدد تحرير كتابه لسان العرب

أعرب عن قلقه من وضع اللغة العربية في زمانه ومع ذلك أنجز مهمته وهو يعلم أنه يتصرف كمن يصنع سفينة لن يركبها أحد. في زماننا هذا لكثير من الناس أن يقولوا- إن وضع اللغة العربية لم يتغير كثيرا عن وضعها قبل ستة أو سبعة قرون. صحيح أنه قامت جهود تعريب في العالم العربي وقامت منشآت دولية ووطنية لتغيير هذا الوضع ونشر اللغة العربية. واكبت هذه الجهود بحوث لغوية يقوم بها أفراد وجماعات بالإضافة إلى جهود دور النشر لمعاجم اللغة على اختلاف ضروبها. كل هذا لم ينفع في أمة تخلت عن مزاولة لغتها في مختلف الأنشطة الاجتماعية وفي المؤسسات الجامعية والسؤال المطروح الآن هو الآتي. ما السبيل إلى إنقاذ هذا التراث كي يصبح متداولاً من جديد؟. هذا السؤال هو مطروح من قبل ومنذ عدة قرون فتبينت ضرورة الاهتمام بالتراث اللغوي لإحيائه وكانت هذه المهمة من نصيب الترجمة وهذا ما يجعلني أقدم البحث الموالي لبيان دور الترجمة في مجالين - مجال فهم اللغة الأصيلة ومجال تطوير اللغة العربية.

الترجمة أداة لفهم اللغة الأصيلة-أول ما ينبغي البدء به طبعاً هو التعرف على الجانب الغامض من اللغة العربية. من يعنيه هذا العمل لديه وسيلة فعالة لتوضيح اللغة هو بيانها بخير وسائل التوضيح وهي الصور وكل وسيلة مرئية لكن هذه الوسيلة عسيرة المنال إلا أن تتصافر على تحقيقها جهود ذوي الاختصاصات المختلفة من الأمة العربية وريثما يتحقق ذلك لا يسعنا إلا اعتماد الترجمة في البيان شريطة أن يكون من يتلقى هذه البيانات

مزدوج اللغة. عن طريق الترجمة وفي إطار مجامع اللغة العربية قامت جهود لتوضيح ما أمكن توضيحه من اللغة الأصلية المخزونة في الرفوف والمحفوظة في لسان العرب. لكن من يعنى بتطوير اللغة ونشرها عن طريق الترجمة قلما تنصب جهوده على جمع كلي للغة الأصلية في ميادين العلوم الصناعية والتقنية قبل التصدي لترجمة المصطلحات العلمية الأجنبية التي ينصب عليها اهتمامه وهكذا قد يعرض لمثل هؤلاء التراجمة أن يتخذوا لترجمة المصطلحات الأجنبية مفردات عربية مركبة ويفوتهم الكشف عن المفردات العربية الأصلية المقابلة للمصطلحات الغربية.

فهم اللغة الأصلية يبقى جزئيا ومتحققا بالصدفة - أقصد ههنا أن التراجمة ينصب اهتمامهم ابتداء على ترجمة المصطلحات العلمية التي يزاولونها أو يجدونها مجموعة في معاجم فيؤدونها بما يملكون من لغة علمية عربية وقد يعتمدون بحثا عاجلا في المعاجم العربية لترجمة رصيدهم من اللغة العلمية الغربية. ولهذا أقول مرة أخرى إن فهم اللغة الأصلية لا يمكن أن يتم بوجهه الصحيح إلا حينما يتجه اهتمام الترجمان لجرد كلي للمصطلحات العلمية العربية بعد ما يكون قد استقصى البحث عنها ليستوعبها كليا. بعد هذا الجرد - وبعده لا قبله - ينبغي أن يعمل على ترجمة المصطلحات العربية عن طريق مقابلتها بمصطلحات الغربيين. هذا هو الأسلوب الذي اتبعت في مجموع أعمالي اللغوية. مفردات العين (جزء واحد) مصطلحات

العلل (3 أجزاء) مصطلحات العلاج (جزآن) مصطلحات التشريح (جزآن)
مصطلحات الحيوان (جزآن) مصطلحات المعادن والكيمياء (جزآن)

الترجمة أداة لتطوير اللغة – أريد التنبيه ههنا إلى أن المراجع العربية الأصيلة تكاد تكون خالية مما يعنى الحياة الدينية للمسيحيين واليهود- ألبستهم- عمرانهم – عوائدهم. إنك لا تجد إلا التوافه فيما يرجع إلى عمران الكنائس وألبسة رجال الدين وهم يزاولون الشعائر الدينية. من جهة أخرى أتبين أن مصطلحات الغربيين في موضوع الملاحة البحرية هي غنية إلى حد بعيد ومع أن العرب كانوا بلا شك مهرة في صناعة المراكب البحرية وقودها فإن اللغة الأصيلة في هذا الباب ضيقة مما يشهد على أن قسطا عظيما من اللغة قد اعتراه ضياع. من هنا تدرك حاجتنا إلى وضع قسط عظيم من المصطلحات العربية لوضع معرفتنا في مستوى معرفة الغربيين في الموضوعات المطروقة من لدن قدماء العرب وفي غيرها من الموضوعات التي تبين فيها فقر لغوي.

أعتبر أن الترجمة هي السبيل لخلق اللغة العربية وهذا عندي صحيح حتى بالنسبة لعهودها الطويلة قبل الإسلام. قد يكون للشاعر العربي قديما دور في خلق اللغة لكنه قاصر على وضع مترادفات يلتجئ إليها من أجل القافية وانطلاقا من مفردات أخرى موضوعة عن طريق الترجمة ومعروفة لديه. دور الترجمان إذن لتطوير اللغة هو عظيم وهذا هو ما نشاهده اليوم بالذات. فالتراجمة في نطاق مؤسسات اللغة أو خارجها هم العاملون على وضع المفردات العربية الجارية في علوم الغربيين. وهذا هو ما نشاهده اليوم ونحن نسمع

مصطلحات جديدة تصدر من أهل الإعلام المسموع والمكتوب وهم يمدوننا بمثل مفردات خوصصة أو خصخصة - بمثل مفردات أطر أو كوادِر - بمثل مفردات طاقم وخرسنة أو ترسانة ونحو ذلك. لو قام ابن منظور من رقدته ما فهم شيئاً من كلامنا ونحن نتحدث عن الأبنك والكهرباء أو عن مختلف الرياضات. منذ زمان ابن منظور قامت تصورات جديدة لدى الغربيين مع ازدهار الصناعة وتطور التقنيات ولذلك تبينت فجوة سحيقة بين تراثنا اللغوي الأصيل وبين ما نحن بحاجة إليه للتعبير عن هذه التصورات بمفردات عربية. ضاقت هذه الفجوة بفضل جهود الترجمة التي نشرت في الأمة العربية عن طريق وسائل النشر المكتوبة والمسموعة مصطلحات جديدة تعين على أداء بعض التصورات المستحدثة ومع ذلك تبقى هذه الجهود غير منظمة وغير كافية ما دامت لم يصبح أثرها منطلقاً من المؤسسات الجامعية تعليمياً ونشراً.

إذن حصل تطور لغوي مهم يرجع فضله إلى الترجمان وهو العامل على وضع اللغة وعلى تطويرها لكن هناك وضع لغوي من ضرب ووضع لغوي من ضرب آخر فما هو الضرب من الوضع المحمود ؟

وضع اللغة في العربية يعتمد طريقة التأثيل - من يعنى بالوضع عليه أن يملك مبادئ الوضع وقوانينه وهذه بقيت خفية على اللغويين ممن اتجهت عنايتهم لجمع اللغة الأصيلة في معاجم. قد يسعون إلى تأويل اللغة وربط بعض المعاني ببعض فلا يوفقون لأنهم لم يدركوا طبيعة المادة اللغوية وأنها قلما تخضع لوحدة ولو أنها لا تأتلف إلا من مفردتين. لم يدركوا أصلاً أن عنوان اللغة ما هو

إلا جماع حروف بدون دلالة لأن المداخل داخل المادة اللغوية الواحدة تندرج تحت عدة أسر لغوية ولا يمكن أن يجمع بينها خيط ناظم إلا بتمحل يفسد اللغة ولا يساعد على إدراكها. منذ أن أصبحت أعمل بطريقة التأثيل - وهي الطريقة التي تفرض علي معرفة المفردة المؤثرة في التركيبة اللفظية والصوتية لمفردة لغوية - اهتديت إلى مبادئ الوضع وقوانينه وهي التي سطرت بتدرج في مقدمات كتبي الموضوعية بطريقة التأثيل. هذه المبادئ والقوانين تمثل علما جديدا لم يهتد إليه أهل اللغة من قبل. كان والدي - رحمه الله يملك من ببن كتبه كتابا اسمه رسالة الوضع للسمرقندي بشرح العلامة الجليل الحاج محمد بن الطالب بنسودة. رجعت إلى هذا الكتاب في هذه الأيام فلما فحصته تبينت أن قضاياه ترتبط بالنحو والصرف وبالبيان وأن لا علاقة لموضوع الكتاب بعنوانه وأيا ما كان فالكتاب لا يذكر قليلا ولا كثيرا من البيانات التي أعطيها عن طريقة الوضع. علي أن أقول مرة أخرى وقد قلت من قبل في مقدمة بعض بحوثي اللغوية - أن اللغة العربية قد ملكت رقيا لغويا بخضوعها لطريقة التأثيل وأنه لم يعد لأحد أن يضع مفردة جديدة دون بيان مأخذها. بالفعل لا يعقل أن تكون المفردات الأصيلة بينة الأثول بينما تبقى المفردات الموضوعية حديثا بدون هذه البيانات اللغوية.

ما دمنا لا نعمل على اكتساب هذه الطريقة وعلى تطبيقها عند وضع اللغة فسيبقى تطورنا اللغوي بطيئا كما كان بطيئا منذ ما يدعى بعصر النهضة إلى الآن. ما الكمية اللغوية المنشأة بعد ابن منظور وما هي حصيلتها حاضرا ؟

أصرح ههنا - وعن مضمض - أنه لم يعد للعربي دراية بطرق الوضع وقوانينه فهو يعمل ارتجالا وبدون نظام ويتبع أسهل الطرق قانعا بتركيب مفردة مع أخرى وقلما يستطيع وضع مفردات من ضرب طاقم وخرسنة أو ترسنة. بعبارة أخرى لا يملك الواضع العربي مؤهلات لتطوير اللغة تطورا على وفق تطورها في العصور الزاهرة لدولة العرب والمسلمين.

لم نعمل منذ قرون على تطوير اللغة ولا تكافأ جهودنا بنتائج نرضى عنها تمام الرضى؟

نعمل منذ قرون على تطوير اللغة العربية ومع ذلك لا تأتي النتائج عالية وعلى وفق الجهود المتوالية والمضنية المبذولة في هذا المجال. هذا الأمر قد يفسر بما يلي -

1) اللغة العربية وغيرها تتحقق وظيفتها عند الخطاب. لقد أبقينا عليها حية في مجالات فحييت وازدهرت وعطلناها في مجالات فانكششت وخفيت. ما هو منكمش وخفي هو قسط المصطلحات المرتبطة بالعلوم الحديثة وبالصناعة والتقانة.

2) تؤدي اللغة وظيفة أخرى هي السماح للفرد بأن يعبر عن مشاعره ومواهبه حينما يتمكن من مزاولتها في مختلف نشاطاته الروحية والاجتماعية والثقافية والعلمية. إن كان مجال اللغة ضيقا ضاق معها نشاط الفرد وضافت معها فرص رقيه فكريا وعلميا وهذا شأن اللغة العربية في عهدها الحاضر وهي مبعدة من بعض دوائر الحياة ومن الجامعات التي تعنى بالتقنيات.

(3) ما يتم إنشاؤه من مصطلحات جديدة قد يبقى حيا ومنه ما يموت في مهده وهذا أمر قد يفسر بعامل أساسي هو خفاء طرق الوضع كما استعملها أبائنا الأولون.

(4) في هذا الباب تذكر كذلك عوامل أخرى ترجع إلى نظام المجتمعات العربية وإلى حالة نفسية تكاد تستقر في مجتمعاتنا العربية بدعاية مغرضة أو على حق . في مجتمعاتنا أو في بعضها ليست الإدارة معربة ونظام التعليم هو أعرج عربية أو بعربية ولغة أجنبية في المستويات الدنيا ثم هو يصبح عجميا في الجامعات المدعوة تقانية. من يملك شهادة عليا بالعربية قد تضيق عليه سبل الحياة لأنه لا يجد عملا. والآباء قد ينظرون إلى مثل هذه الحالة فيفرون بأبنائهم من مدارس الدولة ليضعوهم في مدارس البعثات الغربية. مثل هذا التصرف ينبئ على أن الروح الوطنية هي مهددة في الصميم ولا مفر ههنا من ذكر ما نسمع من قنواتنا العربية من لدع في حق رؤساء الأمة العربية وهم لا يكادون يتفقون على شيء كأنهم لا تجمعهم روابط - ما أعظمها من روابط- هي روابط الدم والدين واللغة والتاريخ المجيد المشترك. مثل هذا اللدع ينبغي أن يتوقف لأنه مضر بخلقنا وبخلق أطفالنا وأبناء مجتمعنا. هذه العوامل هي التي قامت ولا تزال قائمة وممانعة من حفاظ اللغة على سمعتها وشرفها كي يبقى أهلها متعلقين بأسباب نموها وازدهارها.

تطوير اللغة العربية من لدن أفراد - تحت هذا العنوان أقتصصر على ذكر نموذجين من الأعمال اللغوية العاملة على تطوير اللغة العربية.

1) نموذج المعاجم من الفرنسية أو الإنجليزية إلى اللغة العربية - من المعاجم ضرب يسعى إلى ترجمة معاجم فرنسية أو انجليزية. أذكر ههنا بالخصوص المنهل وهو موضوع من لدن الدكتور سهيل إدريس والدكتور جبور عبد النور. هذا المعجم هو ترجمة لمعجم روبرت الصغير (Le Petit Robert) رغم أن هذا المعجم موصوف بالصغر إلا أنه يكاد يغنيك عن غيره حينما لا يكون البحث في موضوع علمي مطلوباً بتفاصيل دقيقة. هذا الضرب من المعاجم ينقل إليك عبر الترجمة تصورات الغربيين وطرق تعبيرهم عن مختلف مجالات الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية كما أنه كاف لتمثيل أنماط الحياة لدى الغربيين باعتبارها متأثرة بتطور صناعي وتكنولوجي.

لا يخفك تعلقنا بقيمنا الروحية والثقافية وأن لغتنا الأصيلة هي صورة عن هذه الحياة كما عشناها خاضعة لأنماط من الحياة تعتبر عتيقة ولا يخفك من جهة أخرى أننا - خارج المجال الروحي وخارج كل مجال له ارتباط بالتقاليد والأعراف العربية والإسلامية - أصبحنا نتأثر بالحياة الغربية ونتخذ أساليب وتقنيات جديدة لتنظيم بعض الوجوه من حياتنا الاجتماعية. ولم لا نقول إن كثيراً من تصوراتنا وأفكارنا هي الآن منقولة من الغرب وإن كنا قد نتعثر في التعبير عنها بلغة سليمة. كم من مدير عربي يرأس اجتماعاً لا يحضره غير العرب ومع ذلك لا يملك إلا أن يعبر عن بحوثه بلغة أجنبية ولا يعتريه خجل من ذلك لأن الروح والشهامة العربية لم يعد لها سبيل إلى قلبه. على الآن العودة إلى المعاجم التي تعنيني ههنا لأقول. إن أصحابها قد سعوا

قطعا إلى تطوير اللغة العربية بالجهد المبذول لتوظيف بعض المصطلحات العربية الأصيلة وأداء بعض التصورات والمصطلحات العلمية ولو بمفردات مركبة. لكن لا أتمالك ههنا عن التصريح كارها بأن هؤلاء التراجمة لا يعطون الدليل على أنهم قد استوعبوا كل اللغة العلمية الأصيلة ولا أنهم يملكون الأسلوب العلمي الصالح لتطوير اللغة العربية تطويرا سليما ومفيدا. هذا الأسلوب هو الذي يمكن من خلق مصطلحات مفردة لا مركبة تتطابق تماما مع المصطلحات الغربية في مختلف المجالات العلمية. بمثل هذا الأسلوب تمكنت من وضع بحوث علمية سبق لي العمل على طبعها لتقديمها للقارئ. وعليه فهؤلاء الترجمة لم يملكوا إلا أن يفتحوا الطريق لتطور علمي ولغوي من ضرب آخر ومع ذلك تبقى معاجمهم مفيدة إلى أن يظهر في السوق ما يعوضها.

(2) نموذج المعاجم المختصة- نموذج الموسوعة العلمية في الطبيعيات لإدوار غالب - أنه ههنا بعمل عظيم قام به صاحب الموسوعة العلمية في الطبيعيات. في هذه الموسوعة تجد معظم المفردات الأصيلة مذكورة. قد ينسى منها صاحبها ما ينسى كما قد يذكر بعض مفردات أصيلة لا يتمكن من ترجمتها أو يذكرها فلا يوفق في ترجمتها - مفردات الموسوعة هذه مشروحة شرحا وافيا باللغة العربية وفوق ذلك تترجم إلى عدة لغات أجنبية. لا يقتصر إدوار غالب على المفردات الأصيلة فيأتي بتكملة لعمله بما يضعه من مفردات عامة وخاصة. وبالفعل فإن من يعنى بعمل علمي لا يسعه الاستغناء عن

مفردات عامة يحتاج إليها لبيان دلالة مصطلحاته العلمية. استطاع إدوار غالب أن يمدنا بعمل واف متناسق أنجزه حسب النمط العصري المتبع في علم النبات والحيوان. رغم هذه القوة التي يتمتع بها هذا العمل أرغب في أن يكون زائد القوة بمراعاة الاعتبارات التالية -

قد وضع إدوار غالب قسطا كبيرا من المفردات دون أن يهتم ببيان مرجعه في الوضع وقد فهمت أن عمل الوضع عنده لا يركز على أساس علمي وأنه يرجع إلى المواد الفارغة في اللغة العربية لصنع مفرداته الجديدة. على أي حال هو لا يعتمد طريقة التأثيل ولم يعد لأحد مفر من اعتمادها عند الوضع. من يشتغل بالوضع من مؤسسات وأفراد عليه بيان السبيل الذي اتبعه لصياغة مفرداته الجديدة. لقد ظهر من خلال الأعمال اللغوية التي أنجزتها أن اللغة العربية حققت تطورا عظيما بخضوعها لأسلوب لغوي راق هو أسلوب التأثيل. وعليه لا يعقل أن تكون اللغة الأصيلة - وهي من وضع من سبقنا - مدركة الأثول بينما تكون اللغة الجديدة - وهي من وضعنا - لا يعرف عنها كيف قامت ونشأت. أرى من جهة أخرى أن إدوار غالب يطلب القضاء على الترادف في اللغة العربية وهو فعلا فاحش عندنا ومن ثم فهو يتخذ المترادفات لكائن حيواني أو نباتي فيستعملها أسماء لأنواع وضروب هذا الكائن ولست متفقاً معه على هذا النهج اللغوي.

باستثناء هذه المآخذ - إن كنت فيها على حق - أرى أن أدوار غالب
قد أبان بعمله وبموسوعته عن عبقرية فذة لا يكاد الزمان يأتي بنظيرها مع أن
عمله هذا هو منجز منذ ما يزيد على نصف قرن بكثير.

العمل اللغوي كما هو متبع ومعرض في النموذجين السابقين - في أول هذا
المبحث قدمت لك موضوعين علميين أحدهما في الغرة السائلة والثاني في موضوع
فقد الصبغ والخصب. في كل موضوع أعرض لغته مصنفة في فقرات - فقرة
للمفردات الأصلية وفقرة للمفردات المشتقة وفقرة للمفردات التي دعوتها مضافة
لثلا أقول موضوعة أو متخذة حسب طرق الوضع لدى قدماء العرب. في فقرة
المفردات الأصلية حاولت ذكر كل المفردات الواردة في اللغة الأصلية. وقد حاولت
استيعابها على التمام وتقديمها بطريقة التأثيل. في فقرة المفردات المشتقة رجعت
إلى مفردة (سلت الصبغ بمعنى نزع) فاشتقت -انسلات- لزوال الصبغ أو زوال
اللون وقلت - سلات - لما يعين على إزالة صبغ أو على قلع غمرة امرأة
تطوست من قبل بقشورات. المفردات المشتقة هي دائما منطوية ومضمنة في
المفردات التي منها كان اشتقاقها. توسيع اللغة عن طريق الاشتقاق هو حق كل
عربي ومعاجم اللغة قد لا تتوسع في الاشتقاق مكتفية بما يذكر. يتلو فقرة المفردات
المشتقة فقرة المفردات المدعوة عندي مفردات مضافة وهي مفردات موضوعة وضعا
جديدا بطريقة التأثيل أي مع بيان ما اعتمدته من طريقة وأسلوب لاتخاذ ما
اتخذته من مفردات جديدة. في هذه الفقرة من النموذج الأول والثاني ذكرت عدة
مفردات مضافة هي وامص لما هو غير منتظم وحاله هو الوموص وقلت ماهص لما

هو غير متصل وحاله هو المهوص وقلت ونيص لما لا يملك رائحة وونيص لما لا يملك طعما من الأجسام الطبيعية التي قد تخضع لفحص علمي. اتخذت مفردة زهلق وصفا لما فقد خضبا كان له من قبل وازهلاق لفقد جسم لهذا الخضب. كل المفردات المضافة هي مبينة الأثول لبيان الأسلوب الذي اتبعته لتوليدها.

بعد هذا البيانات اللغوية الأصيلة تأتي بيانات أخرى تكميلية محررة في موضوع علمي لتعزيز البيانات اللغوية الأصيلة وأكثر من ذلك فإني - داخل الموضوع الواحد- قد أعرض لتفاصيل أخرى فأرتب مصطلحات الموضوع الواحد في عدة فقرات. بعد الموضوع العلمي تأتي مصطلحات الموضوع العلمي مترجمة إلى اللغة الفرنسية.

الترجمة والتأثيل في خدمة مصطلحات الموضوعين السابقين - أعتبر أن البيانات اللغوية الأصيلة في الموضوع الأول هي غير واضحة كل الوضوح وفي هذه الحالة يحير الترجمان أو يعطى ترجمة كيفما اتفق له ولا يكون واثقا بها. عمل التأثيل هو نفسه غير ممكن إلا عند وضوح دلالة المفردة وعندئذ يأتي بيان التأثيل بزائد علم بمفردتك وبزائد ثقة ببيانك اللغوي ويمنحك معرفة جلية بالتركيبة الصوتية للمفردة اللغوية. في حالتنا هذه لو ترك الترجمان وحده ولم يستعن بالتأثيل ما كان له أن يدرك أكثر مما يمكن أن يدركه من لا يحسن إلا العربية. طيلة حياتي وأنا أسمع بمفردات شمراخ وعصفور وزنبور باعتبارها سوائل وبياضا في وجه الفرس والذي يتبادر إلى الذهن ههنا هو أن بياض الزنبور هو أقل من بياض العصفور لأن حجم الزنبور

من الحشرات هو دون حجم العصفور من الطير لكن البيانات اللغوية الأصلية اعتبرت بياض الزنبور أكثر مساحة من بياض العصفور وقد كانت قرينة لغوية مهمة هي التي دلتني على أن هذه الأسماء - شمراخ وعصفور- وزنبور هي بمعان غير معناها المتداول. بالتأثيل وبالمقارنة مع أحوال غرر الفرس وتحاجيله أدركت أن السائلة الكاملة هي الزنبور وأن الشمراخ والعصفور ما هما سوى بداءة سائلة. بعد هذا الإدراك تبينت لي المآخذ اللغوية وتمكنت من التأثيل ومن الترجمة التي أطمئن إليها كل اطمئنان.

فائدة الموضوع الصغير - في أول هذا المبحث قدمت لك موضوعين علميين وعن قصد وضعتهما صغيرين للأهمية القصوي التي أصبحت أعطي لصغر الموضوع. ذلك أنني أعتمد في بحوثي البيانات اللغوية الأصلية وبيانات التأثيل والترجمة وبيانات علمية تكميلية للبيانات اللغوية الأصلية وغالبا ما يكون لها ارتباط بعمل التأثيل والترجمة. اعتبرت أن المطع على هذا العمل يصبح تائها حينما يتسع الموضوع العلمي المعروض عليه بهذا الأسلوب ولا يطيق أن يبقى مشدود الانتباه إليه. مع صغر الموضوع يمكنه أن يرجع إلى البيانات اللغوية الأصلية وهي نواة الموضوع ليستوعبها بمعونة الوسائل اللغوية المتنوعة التي يزود بها. ما كان القارئ بحاجة إلى كل هذا لو كانت لغتنا العلمية متداولة.

لقد أصبحت أعتبر أن تقديم اللغة في قاموس أو معجم لا يملك الفوائد التي يملكها تقديمها في موضوعات علمية صغيرة. هذا الأسلوب هو الذي يعين القارئ على إدراك ما يقدم إليه من معرفة لغوية. ولقد قررت أن أرجع

إلى هذا الأسلوب في التأليف ليكون الموضوع الواحد من موضوعات الكتاب صغيراً ما أمكنني ذلك كي أحصر ذهن المطلع عليه في مجال ضيق لتسهيل سبل إدراكه للمصطلحات المعروضة فيه.

تبعاً لوضعيتنا اللغوية الراهنة يملك صغر الموضوع الفائدة المبينة السابقة وهو تقليل القدر اللغوي المعروض للبيان والتحصيل. لصغر الموضوع أهمية أخرى لتوجيه الذهن نحو المعنى المقصود بمفردة لغوية معينة. كان الموضوع الأول مرتبطاً بسوائل الفرس. لو كان هذا المبحث معروضاً في إطار شيات وجه الفرس لزاد جهد التأمل والتفكير والتخيل لدى المتلقي للموضوع ولو كان معروضاً في إطار شيات الفرس لكان الموضوع زائداً مساحةً و كان فكر المتلقي للموضوع منتشراً في مجال واسع وقد لا يتمكن من إدراك لا قليل ولا كثير من الموضوع. وعليه فالعمل البيداغوجي ههنا له فائدته البينة. ولا يخفك أن البيانات اللغوية في المعاجم الأصيلة هي نفسها قد تضلّت في إطار ضيق أو واسع فتظهر لك الدلالة أو تختفي تبعاً للبيان اللغوي. قد يقال لبيان مفردة لغوية إنها من شيات الفرس وشيات الفرس هي متنوعه. هي في بدنه أو في رجله أو في وجهه. قد يقال في بيان لغوي آخر - إن المفردة تعبر عن شية من شيات وجه الفرس ومن شياته ما هي محصورة في جبهته ومنها ما هي سائلة على مرسنه ومنها ما هي منتشرة وغاشية لوجهه ومنها ما تجعله ناظراً في بياض أو في سواد ومنها ما تظهره كالبرقع أو البرنس أو المختنق. قد يقال في بيان آخر لمفردة إنها تعبر عن شية من شيات وجه الفرس هي بياض دون قدر الدرهم في الجبهة وحينئذ يفهم أن المقصود هي القرحة أي شية الفرس الأقرح وهو الاعتبار من خير

الأفراس. صغر الموضوع يعين إذن على حصر مجال التأمل لمتلقي اللغة كما يعين على إدراك واستيعاب حصيلته اللغوية.

خاتمة - لقد سبق لي تحقيق رقي للغة العربية بالكشف عن الوسائل الفعالة لتطويرها وبالطريقة المعروضة عليك في النموذجين السابقين حققت بعض رقي لغوي يهم طريقة عملي لعرض اللغة. فرضت على نفسي عدة قيود لغوية لمساعدة القارئ على التعبير عن الموضوعات العلمية بلغة عربية قويمة راجيا أن تكون طريقتي هذه وسيلة فعالة للإشادة باللغة العربية وللتعريف بكنوزها المخزونة على رفوف خزائن الكتب في الأقطار العربية.

عرضت عليك الموضوعين السابقين لبيان فائدة التأثيل والترجمة لتوضيح اللغة وتطويرها وقد كتنت الترجمة دوما هي العمل الأساسي لتطوير اللغة. في جزيرة العرب نشأ الترجمان القرشي الذي حول العرب من عرب عاربة إلى عرب مستعربة وصنع لسانا عربيا مبينا محمودا من لدن رب العالمين. في جزيرة العرب نشأ النبي القرشي الذي اختاره الله لنشر الدين الحنيف بلغة قومه وبلسان عربي مبين ليكون رحمة للعالمين.

ربنا آتانا من لَدُنكَ رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لَدُنكَ رحمة. إنك أنت الوهاب. سبحانك رب لك الحمد في السماء وفي الأرض وأنت رب العالمين ولك الكبرياء في السماء والأرض وأنت العزيز الحكيم. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

محمد بن عبد الجليل بلقزيز

الشيخ الرحلي الفاروق



صورة تذكارية العلامة الشيخ الرحلي الفاروق الرئيس الثاني لمجمع الفقه الإسلامي
بمؤسسة محمد بن عبد الوهاب بمدينة الرياض - المملكة العربية السعودية - سنة 1410 هـ
توفي العلامة في 10/1/1410 هـ